المحاضرة الرابعة: جوهر الفساد

- **تمهيد:**

يعد الفساد من أكبر المشكلات التي تواجه الحكومات والمجتمعات في الدولة النامية والمتقدمة على حد سواء، وتقف عائقا في تحقيق تنميتها المستدامة، وذلك بسبب ما ينتجه الفساد من الانحراف في المعايير الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية و السياسية.

كما تعد هذه الظاهرة من أكبر التحديات في العصر الحالي لما تشكل من تهديد على المصلحة الخاصة والعامة للأفراد.

1- جوهر الفساد:

أ. تعريف الفساد لغة:

فسد هو ضد صَلُح، وفساد الشيء بطلانه (باطل) أو غير صالح، وفسُد الشيء يعني اضمحل وبطل وتلف. الفساد هو العطب، وذهاب منفعة وفائدة الشيء. والفساد نقيض الصلاح، فسد يفسد فهو فاسد (غير صالح).

أما في اللغات الأجنبية، فنجد لفظ (Corruption) في اللغة الانجليزية مشتق من الفعل اللاتيني(corrupt) بمعنى الكسر، أي أن شيئا تم كسره، وهذا الشيء قد يكون أخلاقيا أو اجتماعيا أو إداريا.

ب. الفساد اصطلاحا:

الفساد يعد مفهوم مركب حينما نتحدث علي انواعه، تمنح له أبعاد متعددة، وتختلف تعريفاته باختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إليه، وفيما يلي نذكر بعض التعريف:

- **تعريف منظمة الشفافية الدولية:**

بأنه:" إساءة استعمال السلطة العامة من أجل تحقيق منفعة خاصة".

كما عرفته بأنه: "كل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة ذاتية أو جماعية".

- **تعريف البنك الدولي:**

الفساد هو استغلال أو إساءة استعمال الوظيفة العامة من أجل المصلحة الشخصية، أو المكسب الخاص".

- **تعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي:**

"الفساد هو عرض من الأعراض الدالة على خلل في إدارة الدولة، ذلك أن المؤسسات التي أنشئت لتنظيم العلاقات بين المواطنين والدولة، تسخر بدلا من ذلك في الإثراء الشخصي للمسئولين الحكوميين وفي توفير الامتيازات للفاسدين".

وقد بين برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن الرشوة أهم عامل للفساد، سواء كان كمقابل تحفيزي للإداريين، أو لكسب النفوذ السياسي أو الأصوات الانتخابية، أو لاستصدار أحكام قضائية، أو دفع رشوة للحصول على امتيازات رئيسية وشركات خصخصة.

- **تعريف شقران الرشيد(2007):**

هو" كل سلوك به انتهاكا للقواعد والضوابط التي يفرضها النظام القائم، كما يعد الفساد كل سلوك يهدد المصلحة العامة، وكذلك أي إساءة لاستخدام الوظيفة العامة لتحقيق مكاسب خاصة. ويقول أحد علماء السياسة بأن انعدام السلطة يحدث فسادا، وتوفير السلطة المطلقة يحدث فساد مطلقا".

ومما سبق من التعاريف يمكننا استخلاص أن الفساد يظهر في مجموعة من السلوكات التي يقوم بها من يتولون المناصب العامة، وهذا بالرغم من تشابه وتداخل فيما بينها إلا أننا يمكن إجمالها في المظاهر التالية: الرشوة، المحاباة، الواسطة ، الابتزاز، اختلاس وغسل الأموال.

2- الدين والفساد:

حارب معظم الأديان مختلف مظاهر الفساد، وجرمت الفاسدين، وقد أشار الإسلام إلى مفهوم الفساد في القرآن الكريم في 50 آية مختلفة، وقد جاء الإسلام لمحاربة الفساد بمختلف أشكاله، أي رفع الظلم على الناس، قال الرسول الكريم (ص) "جئت لأتمم مكارم الأخلاق".

ويعرف الفساد فقهيا بأنه:" كل المعاصي والمخالفات لأحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها والعمل بها، فهو يتناول جميع الشر من المحرمات والمكروهات شرعا، إذ هو في حقيقته خروج عن منهج الله تعالى، ويعرفه القرطبي يقول:" الفساد ضد الصلاح وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها، كما يعرفه ابن كثير:"الفساد هو العمل بالمعصية" ويمكننا القول إن الفساد هو:" كل مخالفة لنص شرعي أو اتفاق عرفي معتبر".

والفساد في الإسلام هو الخروج عن نهجه وإظهار معصية الله تعالى، ورسوله الكريم، ومن ذلك في مجال المعاملة بين الناس كعدم الإضرار بهم والاعتداء عليهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم...

قال الله تعالى: "وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا" (سورة الأعراف الآية 56)

كما قال الله تعالى: "وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (عاقبة سيئة) (سورة الأعراف الآية 86).

وقال كذلك سبحانه وتعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَر وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَاسِ" (سورة الروم الآية 41).

و الفساد في الدين الإسلامي كذلك هو البعد عن الصواب والانحراف عن السبيل القويم، سواء القول أو في العمل والسلوك.

قال الله تعالى: "وَإِذَا تَوَلَى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُ الْفَسَادَ" (سورة البقرة الآية 205).

كما قال سبحانه وتعالى: "وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ" (سورة القصص الآية 77).

وما يمكن استخلاصه من الآيات القرآنية التي سبق تناولها حول الفساد وهي:

- إن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون على أحسن صورة، وكذلك بالنسبة للإنسان الذي خلقه المولى عز وجل في أحسن تقويم، لذلك يجمع المفسرون على أن الأصل في خلق الإنسان والكون بكل عناصره هو الصلاح والنظام والجمال، وهو التفسير الذي استخلص منه قاعدة فقهية هامة، وهي الأصل في الإنسان السلامة والبراءة، والأصل في الأشياء الإباحة.
- إن الإنسان هو الذي يقوم بإفساد الأرض، وذلك بارتكاب أفعال الفساد التي تأتي دائما خلاف الأصل.
- إن القران الكريم ينبه إلى أهمية الصلاح والتحسين للأرض، ولهذا أمر بمعاقبة المفسدين.
- إن الله تعالى يوجب على أولى الأمر وجماعة المسلمين إن يقاوموا الفساد وان يحاربوه. (الكبيسي، 2006، صفحة 17)

كما حرم الله تعالى جميع مظاهر الفساد الأخرى المعروفة، ذات العلاقة بالمعاملات بين الناس، سواء بين المؤمنين أو بين المؤمنات والمنتمين لبقية الأديان، مثل الرشوة والظلم والاعتداء والتحايل والتزوير وغيرها.

كذلك الفساد في الإسلام خروج عن نهجه وعصيان أوامر الله ورسوله (ص).

ولقد جاء الإسلام لمحاربة الفساد بكل أشكاله وأولها الشرك بالله، ثم الظلم والتعدي على الآخرين في أمنهم ومالهم وعرضهم...الخ.

ومن جهتها حاربت السنة النبوية مختلف مظاهر الفساد، في عديد الأحاديث الشريفة، من ذلك قوله (ص): "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".